The three relationships between the accurate traditional speech and the theories of the physics of the universe in the thought of Muhammad Basil Al-Tai

Prof. Riyad Saeed Latif, PHD
Center for the revival of the Arab scientific heritage
- Baghdad University
dr.riyadhsaid@rashc.uobaghdad.edu.iq

DOI: 10.31973/aj.v1i140.1653

Abstract:
This research is summarized by completing the study of the five principles that we have identified as five relationships in linking the subtleties of traditional speech with the physical theories of the universe of an Iraqi cosmologist, Prof. Dr. Muhammad Basil Al-Taie. The first is the principle of division and separation, and the second is the principle of occurrence, and here we are completing the remaining three principles, the principle of renewal of creation, the principle of permissibility and space, and the principle of overlapping time and space.
Keywords: The renewal of creation - permissibility and space -overlapping time and place

العلائق الثلاث بين دقيق الكلام التراثي ونظريات فيزياء الكون في فكر محمد باسل الطائي

أ.د رياض سعيد لطيف
مركز احياء التراث العلمي العربي
جامعة بغداد

(مُلَخَّصُ البَحث)

هذا البحث يتلخص باستكمال دراسة المبادئ الخمس التي حددناها بوصفها علائق خمسة في الربط بين دقيق الكلام التراثي ونظريات الكون الفيزيائية عند عالم من علماء الكوزمولوجيا العراقي الاستاذ الدكتور محمد باسل الطائي في البحث السابق الذي نشر في مجلة المورد، ولمحدد الصفحات في النشر تناولنا مبدأين اثنين من الخمسة، وهما الأول مبدأ التجزئة والانفصال، والثاني مبدأ الحدوث، وها نحن هنا نستكمل المبادئ الثلاث الباقية، مبدأ تجدد الخلق، مبدأ التجويز والامكان، مبدأ تداخل الزمان والمكان.

الكلمات المفتاحية :**تجدد الخلق – التجويز والامكان – تداخل الزمان والمكان**

المقدمة

لفهم العلاقة بين القديم والحديث وبما يسمى بدائرة تاريخ العلوم عند العرب، وهو إحدى مهمات مركز أحياء التراث العلمي العربي.

أحببنا ان نسلط الضوء على علم دقيق الكلام التراثي الذي كتب فيه الأولون من علماء الأمة ممن اختص في علم الكلام أو ما يسمى بعلم اليقينيات أو علم العقائد، وقد توصلوا الى حقائق سطروها في كتبهم التراثية ثم جئنا الى وقتنا الحاضر إذ علم الفيزياء تطور سريعا أو ما يسمى بعلم الطبيعيات إذ تشكلت له فروعا كثيرة وعديدة، منها فيزياء الكون (الكوزمولوجيا) ومن المصطلح واضح جدا نوع الفيزياء المتعلقة بهذا المصطلح وهو ما يتعلق بالكون والتوسع والانكماش. في هذا البحث والبحث المنشور قبله سلطنا على علاقة الربط بين العلمين التراثي والمعاصر لإيجاد الحلقة المفقودة التي يهتم بها علم تاريخ العلوم.

كل ذلك عزيزي القارئ ليس بإطلاقه وانما حددنا ذلك عند قامة علمية مشهورة عراقية هي شخصية الاستاذ الدكتور محمد باسل الطائي. والبحث عند هذا العلم له طعم خاص وجديد ابحرنا فيه من خلال كتابه دقيق الكلام .كل الذي نستطيع قوله نحن لم نبحر معه سوى بجزء بسيط مما سطره في كتابه هذا لا يكاد يتجاوز العشرة في المائة نسبة. نتمنى من العلي القدير أن يوسع له في عمره وعمرنا حتى نستطيع أن نتناول غيرها من موضوعات الكوزمولوجيا ونسأل الله أن يلهمنا الحق واتباعه إنَّه نعم المولى ونعم النصير.

المبدأ الثالث

مبدأ تجدد الخلق

يتلخص هذا المبدأ بأنَّ العرض لا يبقى زمانين، وفي هذا الصدد يقول موسى بن ميمون ":فعندما يخلق عرض يذهب ولا يبقى فيخلق الله عرضا آخر من نوعه، فيذهب أيضا ذلك الآخر فيخلق ثالثا من نوعه هكذا دائما طالما يريد الله بقاء ذلك العرض

فإن أراد تعالى أن يخلق نوع عرض آخر في ذلك الجوهر خلق، وإن كف عن الخلق ولم يخلق عرضا آخر عدم ذلك الجوهر، وهذا هو رأي الأشاعرة في هذا المبدأ.

وهناك فريق آخر من المتكلمين له رأي آخر في هذا المبدأ ويقولون بعدم بقاء الأعراض، والى هذا الرأي ذهب الكثير من المعتزلة أمثال الشطوي، الكعبي، الصيمري، موسى بن ميمون.

وذهب ابو الهذيل العلاف الى رأي أكثر خصوصية من زملائه المعتزلة حيث يقول ": ان بعض الاعراض تبقى وبعضها تتجدد ويسمون النوع الأول بالأعراض الباقية من مثل اللون والطعم والرائحة والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والحياة والقدرة والألوان والتأليف، والنوع الثاني يسمونه بالأعراض المتجددة.

وهنا لابُدَّ من توضيح أمر أنَّ رأي المتكلمين لا سيما الأشاعرة الذين اثبتوا هذا المبدأ كانوا قد خالفوا فريق الفلاسفة بالكامل؛ لأنَّ الفلاسفة يؤمنون بثبوت الطبائع التي هي جزء من بنية العالم المادية وبوجودها تتحقق الظاهرة الطبيعية، ويعتقد الفلاسفة أن رأي المتكلمين أنَّ الأعراض إذا لم تثبت وتستقر وتستمر بالتجدد هذا سيقودنا بالقول إنَّ العالم متجدد وغير ثابت على نظم مستقرة وسيقودنا الى ما يسمى عندهم بفوضوية العالم أو العبثية في الخلق. فبعد أن تبينت وجهة المتكلمين والفلاسفة بقيت وجهة المعتزلة خاضعة للنقاش لا سيما استدلالهم الذي ينبغي أن يحترم؛ لأنَّه قد يؤدي الى شيء جديد وإبداعي .

دليل المعتزلة في إثبات بعض الأعراض ونفي الآخر كانت علته واحدة وهي أنَّهم لا يريدون نقض عمود من أعمدتهم الفكرية العقائدية وهذا ما أجلاه الكاتب محمد عاطف العراقي الذي نقل عنه الطائي ":أنَّهم أدركوا التناقض بين القول بخلق الجوهر والأعراض في كل لحظة وفي نظريتهم في حرية الإرادة وهذا هو أساس نقدهم لنظرية خلق الذرات خلقا مباشرا في كل لحظة.

فدليل المعتزلة الذي أورده العراقي لا يخلوا من المناقشة والأعتراض، فدليل المعترضين هو قوله تعالى" **إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا**("القران الكريم، الاسراء، (7)

وكذلك قوله تعالى "**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ**)" القران الكريم، الملك ،(2)

فوجه الدلالة في رأي المعترضين أنَّ الله يمكن أنَّ يكون عليما بالجزئيات ولكنه قد حكم بعدم التدخل ليكون حسنها مأثرة لصاحبها وسيئها وزرا عليه، هذا هو جواب المعتزلة.

ثم أنَّ قدرة الله مطلقة لا يحول دونها حائل، ولكننا لا نرفض فكرة ان الفاعل كامل القدرة على التصرف فيما تجدد له، ولم يدخل التجديد في إرادته شيئا جديدا.

وفي هذا المقام فاتنا أن نذكر في أدلة فريق الأشاعرة ، ومن ذهب الى مذهبهم من الماتريدية فإنَّهم مؤمنون جميعهم بتجدد الأعراض وعدم بقائها فيؤكد على هذه الصورة عمود من أعمدتهم وهو الإمام الباقلاني فيقول في التمهيد": والأعراض هي التي لا يصح بقاؤها وهي التي تعرض في الجواهر والأجسام وتبطل في ثاني حال وجودها. "هذا التوجه للأشاعرة و الماتريدية قد أثر في اقتضائه لأمرين اثنين:

الأمر الأول :هي قولهم بحدوث العالم.

والأمر الثاني :هو أمر قيمومية الله على هذا العالم.

أدلة الاشاعرة

• يستدل الباقلاني بقوله" :والدليل على إثبات الأعراض تحرك الجسم بعد سكونه، وسكونه بعد حركته ولابد أن يكون ذلك كذلك لنفسه أو لعلة فلو كان متحركا لنفسه ما جاز سكونه وفي صحة سكونه بعد تحركه دليل على أنَّه متحرك لعلة هي الحركة وهذا دليل على إثبات الألوان والطعوم والأراييح والتآليف والحياة والموت والعلم والجهل والقدرة والعجز وغير ذلك." يعلق الطائي على دليل الباقلاني" أأنَّه تعبير عن قانون نيوتن الأول."في بيان الأثر المقتضي لأدلة المتكلمين من أشاعرة وماتريدية ومعتزلة وكذلك الفلاسفة المفترقين عنهم في الرأي:

الأثر الأول :تحقق دور الخالق في العالم بعد خلقه وفي تحقيق ما يسمى بقيومية الله في العالم.

الأثر الثاني :كيفية اشتغال القانون الطبيعي وتحقق الظاهرة الطبيعية.

بالنسبة للأثر الذي يتركه المبدأ على ساحة الوجود الفكري، فمثلا القول بتجدد الخلق سيفضي بالضرورة الى تجديد المخلوق ومن ثمَّ تطويره تدريجيا. وبالنسبة للأثر الثاني لهذا المبدأ أنَّ بعض الناس وبعد الكشوفات العلمية لقوانين الجاذبية والسببية أصبحت لديهم قناعات أنَّ من يحكم العالم ليس قوياً غيبية وإنَّما لقوانين محكمة مادية ليس الأمر هنا وقف، وإنَّما هذه القناعات قد ازدادت وطأتها على الناس فازدادوا الحادا بعد ما رأوا العلماء المشتغلين بالتفكير العلمي يصرحون بعدم الحاجة الى خالق ، وهذا ما ذهب اليه كما يقول الطائي العالم الانكليزي الحاصل على جائزة نوبل عندما أوجد مبرهنة اللانهائية في الزمن التي تعني قدم العالم وعدم وجود بداية له، والى هذا ذهب العالم الفيزيائي عام 1984 ستيفن هويكنج، ولمثل هذه القناعات لآثار هذا المبدأ كما أسلفنا في أعلاه قوض الله علماء أخذوا دور المتكلمين في الرد على هؤلاء المشككين لحقائق الإيمان بما ظهر لهم من العلوم امثال استاذنا الطائي فيقول في دقيق الكلام": مثل تلك التساؤلات والتوصيلات تغفل حقيقة أنَّ قوانين العالم لا تعمل بذاتها بل تحتاج الى مشغل والحقائق التجريبية التي كشفتها فيزياء الكموم تؤكد هذا وان كل ما نبدعه هو حالة تقريبية، فالله لا تحصره معادلة ولا يحده مكان ولا يقيده زمان فالله موجود على الدوام من خلال الخلق المتجدد للعالم نفسه، فالله هو الحي القيوم والخلق المتجدد شاهد على هذه القيومية.

أمَّا الأثر الثالث الذي تركه هذا المبدأ) تجدد الخلق (هو ما عبر عنه البروفسور الاكسفوردي) كيت وارد (أنَّ الله ربما لا يتدخل في العالم على النحو التفصيلي وإنَّما على النحو الإجمالي ، فهو لا يعرف المستقبل بالضرورة ولا يعاني من معاناة الناس، ويلخص الطائي محتويات هذا المبحث بقوله": والحق أنَّ مبدأ التجدد يجيب على جميع هذه الاشكالات والتساؤلات فان تجدد الخلق يقر ضرورة الوصل الدائم بين الخالق والمخلوق لحظيا وآنيا فالخالق في هذه الحال لا يبدأ الخلق ويتركه بل يبدا الخلق ثم يعيده."

المبدأ الرابع

مبدأ التجويز والإمكان

وهو مبدأ من المبادئ الأساسية الخمس للمتكلمين الذي يؤسس لرؤيتهم للفلسفة الطبيعية والأساس النظري لهذا المبدأ عند المتكلمين مفهومان اثنان كما يقول الطائي في كتابه.

الأول :هو تجدد الأعراض.

الثاني :نفي القول بالطبع الذاتي.

وهذا الأمر ليس ببسيط وهين إنَّما تبنى عليه أمور عقائدية مهمة فيما يتعلق بالخالق وقيمومته على العالم، لأنَّ الكلام كما سنرى إذا قلنا إنَّ للأشياء طبع ذاتي فاعل انتفت عنه القيمومية ويمكن لأشياء العالم أنَّ تدير نفسها بنفسها.

حجج المتكلمين

- حقيقة أنَّ الأشياء الجامدة لا تفعل شيئا؛ لأنَّ الفعل يحتاج الى قدرة وإرادة والجوامد لا إرادة لها وقدرتها أعراضا متجددة محكومة بإرادة المتجدد.
- الحجة الثانية ترتكز على تعلق العلة بالمعلول والسبب بالمسبب وتحتاج الى برهان غير يسير ومعقد.

ولو عدنا الى المتكلمين لوجدنا أنَّ هناك اتفاقا واختلافا بينهم وبين المنعزلة وأساس الأمر هو القول بالطبع، إذا ما تعريف الطبع ليتسنى لنا معرفته.

تعريف الطبع

- ففي مختار الصحاح" :الطبع هو السجية التي جبل عليها الإنسان وهو في الأصل مصدر، والطبيعة مثله هكذا وكذا الطباع بالكسر. "
- السيد الجرجاني في التعريفات ذكر أنَّ الطبع بالسكون :الجبلة التي خلق الإنسان عليها، والطبيعة عبارة عن القوة السارية في الأجسام بها يصل الجسم الى كماله الطبيعي .
- ذكر الطائي أنَّ الطبع يأتي بمعنى الختم والمقصود هو التأثير في الشيء ليتشكل على هيئة معينة وإذا أطلقت الطبيعة قصد بها كل ما هو موجود في هذا الكون من مخلوقات الله

كلام الطائي في مسالة الطبع بقوله" :مختصر قولنا وما نراه صحيحا هو أنَّ الطبع عرض من الأعراض يتجدد دوما وهو فيما نجد صفة الشيء ليس بذاته بل بقدره الذي عليه يخلقه الله .ويردف بمعنى أوضح :أنَّ الطبع موجود ليس بصفة دائمة يقوم بها بل هو في ذاته لصفة متجددة يكون عليها، ويتابع قوله :إنَّ ما توصل اليه من رأي في هذه المسالة هو مطابق للقاضي عبد الجبار المعتزلي وهو ما ذكره في كتابه) المحيط بالتكليف (وهو ما ذهب اليه ابن حزم الاندلسي. وسنة الله في خلقه كله هو أنَّ الطبع تلك الصفات التي في الأشياء التي توفر الإمكان، فإنَّ توفرت الضرورة ممثلة بالأسباب اللازمة وقع الحدث (المسبب)، وإن لم تتوفر الأسباب أو لم يتوفر الإمكان لم يقع الحدث .

ويوضح هذا الأمر اكثر من خلال قوله : هذه هي سنة الله في خلقه وسنته هذه هي بيده قائم عليها قيوم بها وليس لها قيام بنفسها لمعنى فيها بل هي استعداد فطري(ميل) يتوفر لها ولن يخرج هذا الميل الى الفعل حتى اذا توفرت الاسباب الا بمخرجه القيوم عليه وهكذا يتضح معنى الطبع والمطبوع عندنا بكونه صفة شانها توفير الاستعداد لخاصية ما تخرج من القوة الى الفعل بإرادة المدير وقدرة القادر، وهنا ملاحظة ان قيومية الله على العالم تتم من خلال تجدد الخلق.

القيمة العلمية لهذا المبدأ

بعد ان أدلى المتكلمون بدلوهم فيما يتعلق بهذا المبدأ لخص الطائي فلسفتهم أو نظرتهم لما يرونه بما يأتي:

"إنَّ علاقة السبب بالمسبب علاقة اقتران ، تحصل على سبيل الجواز لا على سبيل الحتم) الوجوب (؛ لأنَّ الفاعل الحقيقي هو الله ، والحتم على الله باطل ، وما نراه من تكرار حصول الظاهرة هو ليس الا مستقر العادة فيها ثم يردف قائلا في هذا الإطار يتحرك مفهوم القانون الطبيعي عند المتكلمين وهو مفهوم يتفق تماما مع فلسفة القانون الطبيعي في الفيزياء المعاصرة فيزياء الكم ، إذ نعلم منها أنَّ قوانين الفيزياء جوازية احتمالية بنتائجها ، وأنَّها تعمل بوجه من وجوهها كفعل لمؤثرات او إجراءات (operators) يتمثل حضورها عند القياس على وفق تفسير مدرسة كوبنهاجن . ولكن الفيزياء وعلماءها تسكت عمن يحرك تلك المؤثرات ولا تسميه باسمه، وهو الله عند المتكلمين وهي مشكلة قائمة لحد هذه اللحظة يصطف حولها الملحدون من العلماء مع الأسف.

المبدأ الخامس

تداخل الزمان والمكان

في الحقيقة أنَّ هذا المبدأ قد تكلم فيه العديد من أئمة الكلام من اشاعرة ومعتزلة، إلاَّ أن من أبدعا في هذا الأصل ومازال له صدى هما اثنان من المشهورين المتكلمين الإمام الغزالي والإمام ابن حزم الظاهري(رحمهما الله)

أولا :نأتي على تعريفات مصطلحات المذهب ليتسنى لنا فهم صور الرأي فيه فمثلا مصطلح الزمان عرفه الجرجاني في التعريفات هو" :عبارة عن متجدد معلوم يقدر به آخر موهوم ."

ويورد الطائي أنَّ الزمن يأخذ معناه من خلال توالي الأفعال ، ويعضد ذلك بقول الزجاجي أحد أعلام اللغة العربية" : الفعل على الحقيقة ضربان كما قلنا ماض ومستقبل فالمستقبل مالم يقع بعد ولا أتى عليه زمان ولا خرج من العدم الى الوجود والفعل الماضي ما تقضى وأتى عليه زمانان لا أقل : زمان وجد فيه وزمان أخبر فيه عنه فأمَّا فعل الحال فهو المتكون في حال خطاب المتكلم لم يخرج الى حيز المعنى والانقطاع ولا هو في حيز المنتظر الذي لم يأت وقته فهو المتكون في آخر الوقت الماضي وأول وقت المستقبل ففعل الحال في الحقيقة مستقبل لأنَّه يكون اولا فكل جزء خرج منه خرج الى الوجود صار في حيز الماضي.

ابن حزم الظاهري كانت له رؤية في هذا المبدأ يصف رأيه بقوله" :والزمان هو مدة بقاء الجرم ساكنا او متحركا ولو فارقه لم يكن الجرم موجودا والجرم والزمان موجودان فكلاهما لم يفارق صاحبه."

ويؤكد أيضا أنَّه يرى الزمان والمكان نسبيين غير مطلقين بقوله":والزمان المعهود عندنا هو مدة وجود الجرم ساكنا او متحركا او مدة وجود العرض في الجسم .

الخاتمة

ان مما اكتشفنا في هذا البحث عند الدكتور الطائي ومن خلال استدراكنا لبقية المبادئ الخمسة التي جعلناها معيارا للعلائق الخمسة بين علم الكلام وبين أحدث نظريات فيزياء الكون.

من فوائد المبدأ الثالث والذي هو) تجدد الخلق (حلا لإشكالات فلسفيه كثيره ومهمه منها ان تحقق دور الخالق في العالم بعد خلقه او ما يسمى ب قيومية الله في العالم او ما يعبر عنه الدكتور الطائي كيفية اشتغال القانون الطبيعي في العالم وتحقق الظواهر الطبيعية.

والفائدة الثانية هي حل مشكله اتصال الخالق المطلق بالعلم المادي الناقص والنسبي والقابل للفساد.

ومما اكتشفنا ايضا من خلال المبدأ الرابع) التجويز والامكان (ان ثمة علاقة وطيدة ومهمه مع المبدأ الذي سبقه في كون المبدأ السابق مبرهن وهو في حكم البديهي بالنسبة للعقول اما المبدأ الرابع فيعد من المبادئ الاستنتاجية وبدور هذين المبدأين افضيا الى جواز نتائج القياس الفيزيائية وليس حتميتها وهذا ما كشفته فيزياء الكم المعاصرة.

ومما اكتشفنا من خلال البحث ومن خلال فكر الدكتور الطائي ان التصور الكلامي لعلماء المسلمين ان الزمن من حيث الاجمال يتألف من اجزاء عديده وصغيره ومنفصله ليست متصلة ثم ان هذا الزمن ليس قيمه ثابتة وانما نسبي يعتمد على الراصد او المراقب

وكذلك من تصوراتهم ابعدوا من اذهانهم وجود زمان مطلق او مكان مطلق اي انهم يفهمون الزمان والمكان صوره من صور النسبية وليس الاطلاق.

هذا مما استطعنا تقديمه لهذا العالم بالعلم والقامة الابداعية فان وفقنا فذاك من فضل الله وان كانت الاخرى فمن نفسنا والشيطان فنعتذر من الله ومن استاذنا الدكتور الطائي.